التقنيّات الحجاجية في خطاب العاذلة / دراسة في الشعر الجاهلي

الاستاذ المساعد الدكتور نجاح مهدي علوان

قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة البصرة

الملخص:-

تناول البحث التقنيّات الحجاجية في خطاب العاذلة في الشعر الجاهلي في ضوء نظرية بيرلمان في الحجاج ، إذ توزّعت الدراسة على تمهيد وثلاثة مباحث ، تناولت في التمهيد ، الحجاج لغةً واصطلاحاً ، وتناولت في المبحث الأول ، الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية ، إذ اشتملت على حجّة المقارنة والحجّة القائمة على العلاقة التبادلية والحجّة القائمة على التعجيز ، وخصّصت المبحث الثاني لدراسة الحجج المؤسَّسة على بنية الواقع ، أذ اشتملت على الحجّة السببية وحجّة التبذير وحجّة التجاوز وحجّة السلطة ، في حين تضمّن المبحث الثالث ، الحجج المؤسِّسة لبنية الواقع ، إذ اشتملت على الحجج التي تستدعي المشترك كالمثل والأسطورة ، والاستدلال بواسطة التمثيل ويشمل التشبيه الضّمني والاستعارة .

.

كلمات مفتاحية: تقنيّات ، حجاج ، خطاب ، العاذلة.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٢/٠٥/١١ **تاريخ القبول:٢٠٢٢/٠٦/٢٣**

Argumentative Techniques in the Discourse of Al-Athila / A Study in Pre-Islamic Poetry

Asst.Prof.Dr.Najah Mahdi Alwan
Department of Arabic / College of Arts / University of Basrah

Abstract:

The research dealt with the argumentative techniques in Al-Athelh discourse in pre-Islamic poetry in the light of Perelman's theory of Al-Hajjaj. The comparison and the argument based on the reciprocal relationship and the argument based on the impossibility, and the second topic was devoted to the study of the arguments based on the structure of reality, as it included the argument of causation, the argument of waste, the argument of transcendence and the argument of authority, while the third topic included the arguments founding the structure of reality, as it included the arguments that invoke The common ones are like proverbs and legends, and inference through representation includes implicit simile and metaphor.

Keywords: Techniques , Argumentation , Discourse , Al-Athila.

Received: 11/05/2022 **Accepted: 23/06/2022**

المقدمة:-

يشكّل خطاب العاذلة حضوراً لافتاً في التراث الشعري الجاهلي حتى غدا ظاهرة تسترعي انتباه الباحثين والدارسين ، إذ لا نجانب الصواب إذا ما قلنا أنّه قلّما تخلو قصيدة من القصائد من ذكرٍ للعذل أو محاورةٍ تكون العاذلة طرفاً فاعلاً فيها ، الأمر الذي أغرى الباحثين بدراسة هذه الظاهرة وسبر أغوارها وتسليط الضوء على أبعادها وتبيان تفاصيلها وكل ما له صلة بها ، وتبعاً لذلك ظهرت دراسات كثيرة(*) لهذه الظاهرة ، غير أنّ هذه الدراسات انصبّت في أغلبها إن لم تكن جميعها على دراسة الجوانب الموضوعية والفنية لها ، ممّا حدا بالباحث الى أن ينحو منحىً آخر في دراسته هذه الظاهرة ، فقد اتّخذت من الحجاج في ضوء نظرية بيرلمان منحىً لها ، وهي بذلك لا تقلّل من قيمة الدراسات السابقة لها ، ولا من جهود الباحثين الطيّبة ، الذين أدلوا بدلوهم في دراسة هذه الظاهرة ليُسهموا في إغناء المكتبة الأدبية وإثرائها بتلك الدراسات ، بل تكون هذه الدراسة مكمِّلة لجهودهم ، إذ لهم السبق والفضل ، وكما يقال الفضل للسابق على اللاحق ، هذا وقد توزّعت الدراسة على تمهيد وثلاثة مباحث ، تناولت في التمهيد ، الحجاج لغةً واصطلاحاً ، وتناولت في المبحث الأول ، الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية ، وخصّصت المبحث الثاني لدراسة الحجج المؤسَّسة على بنية الواقع ، في حين تضمّن المبحث الثالث ، الحجج المؤسِّسة لبنية الواقع .

التمهيد : الحجاج لغةً واصطلاحاً :

تُشير دلالة الحجاج في المعجم اللغوي العربي الى أنّه مصدر الفعل حاجَجَ ، فحاججتُهُ أحاجُّهُ حجاجاً ومُحاجَّةً حججتُهُ أي غلبته بالحجج التي أدليتُ بها ، والحجّة البرهان والدليل ، وقيل : الحجّة ما دوفِعَ به الخصم ، وقال الأزهري : الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل مِحجاجٌ أي جَدِل . والتحاجُّ : التخاصم ، وحاجَّهُ مُحاجّةً وحِجاجاً : نازعه الحجّة ، واحتجّ بالشيء : اتّخذه حُجّةً .(١)

واضح أنّ المعجم يحدّد دلالة الحجّة على أنّها البرهان والدليل ، ويجعل من الحجاج مرادفاً للجدل ، ويحدّد أيضاً الحالات التي يحدث فيها الحجاج ، فالحجاج لا يتمّ إلّا عندما تكون هناك خصومة بين طرفين في رأي من الآراء أو موقف من المواقف أو فكرة من الأفكار ، كما لا يتمّ إلّا عندما يكون هناك نزاع حول رأي أو موقف أو فكرة ، ولا تُحسم هذه الخصومة وذلك النزاع إلّا بتقديم أحد الطرفين الأدلة والبراهين والحجج على الطرف الآخر ليتمّ الظفر بها والغلبة .

أمّا الدلالة الاصطلاحية للحجاج ، فلا يمكننا الإمساك بدلالة جامعة مانعة له ، فدلالاته متنوّعة بتنوّع الحقول المعرفية التي يشتغل فيها هذا المصطلح ، كالحقل البلاغي ، والحقل القانوني ، وحقل الفلسفة والرياضيات ، فكل حقل من هذه الحقول المعرفية يسعى ((بأبحاثه نحو ضم الحجاج الى حضيرته الخاصة ، ومقاربته من زاويته المحدّدة ، ونتيجة لذلك اغتنى مفهوم الحجاج ، وطُعِّم بمفاهيم ووظائف وتنظيرات مختلفة مازالت في تجدّد مستمر .))(٢) لذلك سنقتصر على إيراد دلالة الحجاج عند بيرلمان طالما أنّنا اعتمدنا نظريته في الحجاج منهجاً في الدراسة ، يعرّف بيرلمان موضوع نظرية الحجاج بأنّه ((هو درس تقنيّات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان الى التسليم بما يُعرض عليها من اطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم))(٣) كما يحدّد الغاية من الحجاج بقوله : ((غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يُطرح عليها

أو يزيد في درجة ذلك الاذعان فأنجع الحجاج ما وُفّق في جعل حدّة الاذعان تقوى درجتُها لدى السامعين بشكل يبعثُهم على العمل المطلوب (إنجازُهُ أو الامساك عنه) ، أو هو ما وُفّق على الأقلّ في جعل السامعين مهيَّئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة .))(٤) ومن الواضح أن بيرلمان يستند في تعريفه للحجاج على عنصرين : عنصر الجدل وعنصر الخطابة ، ولكنّه لم يقف عندهما ، بل حرص كل الحرص على أن يجعل من الحجاج أمراً ثالثاً رغم اتّصاله بهما ، فهو يأخذ من الجدل الجانب العقلي الذي يقود الى التأثير الذهني في المتلقّي وإذعانه إذعاناً نظرياً مجرّداً لفحوى الخطاب وما جاء فيه من آراء ومواقف ، ويأخذ من الخطابة أيضاً توجيه السلوك أو العمل والإعداد له والحضّ عليه ، ولكنّه يظلّ مختلفاً عن الخطابة والجدل من جهة كسره للثنائية التقليدية وجمعه بين التأثير النظري والتأثير السلوكي العملي ، فهو خطابة جديدة متّسعة بالفعل .(٥)

المبحث الأول : الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية :

يُقصَد بالحجج شبه المنطقية أنّها تلك الحجج التي تكون قريبة من الفكر الصوري ذي الطبيعة المنطقية أو الرياضية ، لكنها تختلف عنه في كونها تفترض دوماً القبول بدعاوى ذات طبيعة غير صورية ، هي وحدها التي تمكّن من استعمال الحجّة . (١) وتستمدُّ هذه الحجج قوّتها الإقناعية ((من مشابهتها للطرائق الشكلية والمنطيقية والرياضية في البرهنة لكن هي تشبهها فحسب وليست هي إيّاها إذ في هذه الحجج شبه المنطقية ما يثير الاعتراض فوجب من أجل ذلك تدقيقها بأن يُبذل في بناء استدلالها جهد غير شكلي محض . ولكن تبقى الحجج شبه المنطقية تعتمد البنى المنطقية .)) (٢) ومن أمثلة هذا النوع من الحجج التي تعتمد البنى المنطقية في خطاب العاذلة حجة المقارنة ، وهي تعدُّ حجّة شبه منطقية ((حين لا تسمح بإجراء وزن أو قياس فعلي ، غير أنّ أثرها الحجاجي يتشكّل من تضمّنها لفكرة أنّه يمكن تدعيم الحكم الذي نطلقه بواسطة عملي ضبط أو تدقيق ، بمعنى أنّها توحي بوجود وزن أو قياس .)) (٣) وهي ((كطريقة في الاستدلال .. تجري عادة بين عنصرين من نظام واحد فتقام تراتبية معيّنة منها نستنتج حكماً ما .)) (٤) ويمكن أن نلمس هذه الحجة في قول حاتم الطائي (٥) :

مهلاً نوارُ أقلّي اللومَ والعذلا ولا تقولي لشيءٍ فات : مافعلا

ولا تقولي لمالٍ كنتُ مُهلِكهُ مهلاً ،وإنْ كنتُ أُعطي الجنَّ والخبلا

يرى البخيلُ سبيلُ المال واحدةً إنَّ الجواد يرى في ماله سُبُلا

إنَّ البخيلَ إذا مات يتبعُهُ سوءُ الثناءِ ، ويحوي الوارثُ الإبِلا

فاصدقْ حديثَكَ إنّ المرءَ يَتْبعُهُ ما كان يبني إذا ما نَعْشُهُ حُمِلا

فالعاذلة تلوم الشاعر على إنفاقه المال ، فيحتجّ عليها بحجّة المقارنة ، إذ يقارن بين البخيل والجواد في وجهين، فالوجه الأول من هذه المقارنة أنّ البخيل يرى في ماله سبيلاً واحدة ، في حين أنّ الجواد يرى في ماله سُبُلاً كثيرة ، وواحدة من هذه السبل وهي خيرها هي صلة الرحم ، إذ يقول :

لا تعذليني على مالٍ وصلْتُ بهِ رحماً ، وخيرُسبيل المال ما وصلا

والوجه الثاني أنّ البخيل يتبعُهُ سوء الذكر بعد مماته ، وأنّ ما يمتلكه من مال يذهب الى ورثته ، في حين أنّ الجواد يتبعُهُ حسن الثناء بعد مماته ، إذ عرف كيف يُنفق أمواله في وجوه وسُبُل كانت تجلب له ما كان يتطلّع اليه من مجد وسؤدد ، وهذا البناء على حدّ تعبير الشاعر حقيق بالثناء الحسن ، وبذلك يكون الشاعر قد وظّف الطاقة الحجاجية التي اشتملت عليها هذه الحجّة التي بنى عليها خطابه في إقناع العاذلة وحملها على الإذعان والتخلّي عن عذله ولومه وهذا ما كان يهدف اليه من هذا الخطاب .

ويستخدم عروة بن الورد الحجّة ذاتها في الردّ على دعوى عاذلته التي تحاول ثنيه ومنعه من الغزو والمخاطرة بالنفس في محاولة منه لإبطال دعواها ومن ثمَّ إقناعها وحملها على الإذعان والتخلّي عن لومه ، إذ يقول (٦) :

لحى الله صعلوكاً إذا جنَّ ليلُهُ مُصافي المُشاش آلفاً كلَّ مجزرِ

ينامُ عِشاءً ثمَّ يُصبح طاوياً يحثُّ الحصى عن جنبه المتعفّرِ

قليلَ التماس الزاد إلّا لنفسه إذا هو أمسى كالعريش المُجوَّرِ

يُعينُ نساءَ الحيِّ ما يسْتعِنَّهُ فيُمسي طليحاً كالبعير المحسّرِ

ولكنّ صعلوكاً صحيفةُ وجههِ كضوء شهابِ القابس المتنوّرِ

مطلّاً على أعدائه يزجرونهُ بساحتهم زجْرَ المنيحِ المُشَهَّرِ

فإنْ بَعُدوا لا يأمنون اقترابَهُ تشَوَّفَ أهلِ الغائب المُتَنظَّرِ

فذلك إنْ يلقَ المنية يَلْقَها حميداً ، وإنْ يَسْتَغْنِ يوماً فأجدرِ

فلكي يُقنع هذه العاذلة التي ما افكّت توجّه اليه سهام اللوم على خروجه للغزو والمخاطرة بنفسه ، عقد الشاعر مقارنة بين الصعلوك الخامل الكسول الذي جلّ همّه إشباع بطنه ، والمتقاعس عن أداء واجبه في الغزو ، وبين الصعلوك النشيط الجريء الشجاع الذي لا يتقاعس عن أداء المهمّات القتالية المنوطة به فهو يغزو أعداءه دائما ، وهم يهابونه ويترقّبونه وإنْ كان بعيداً عنهم ، واتّخذ من هذه المقارنة حجّة لإقناع عاذلته بصحّة وسلامة سلوكه ، وقد دعّمَ حجّته بالرابط الحجاجي (لكن) الذي أدّى وظيفة الربط بين عنصري المقارنة ، وجعل الحجّة التي تأتي بعده أقوى من الحجّة التي تأتي قبله ولها الغلبة المطلقة بحيث يتمكّن من توجيه القول بمجمله ، فتكون النتيجة التي تقصد اليها الحجّة الثانية وتخدمها هي نتيجة الخطاب برمّته . (٧)

ومن الحجج التي تندرج ضمن الحجج شبه المنطقية الحجّة القائمة على العلاقة التبادلية ، إذ تتمثّل هذه الحجّة ((في معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة وهو ما يعني أنّ تينك الوضعيتين متماثلتان وإنْ بطريقة غي مباشرة . وتماثلهما ضروري لتطبيق قاعدة العدل ، وقاعدة العدل هي تلك القاعدة التي تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلة في مقولة واحدة .)) (٨) وقد وردت هذه الحجّة في سياق خطاب العاذلة لحاتم الطائي(٩) ، إذ يقول (١٠) :

فنفسَكَ أكرمْها ، فإنَّكَ إنْ تَهُنْ عليكَ ، فَلَنْ تَلْقى لها الدهرَ مُكْرِما

فالشاعر في هذه الحجّة قد ماثل بين وضعتين ، علاقته بذاته وبين علاقته بالآخرين ، فأجرى الحكم (إكرام النفس) على ذاته وعلى الآخرين ، بمعنى أنّه حقّق قاعدة العدل التي تقضي بها هذه الحجّة ، وذلك حين أكّد أنّ من لا يُكرم نفسه فلا يتوقّع أن يُكرمه الآخرون ، وهو قول مُقنع في ظاهره لأنّه يحتكم الى مبدأ منطقي هو التبادلية أي معاملة طرفين متماثلين المعاملة ذاتها ، ولكنّه قد لا يصمد أمام من يشكّك في هذا التماثل لتنهار الحجّة ، إذ قد يستدل المشكّك بشخص هانت عليه نفسه ومع ذلك حاز ثقة الناس وتقديرهم ، أو بشخص كريم النفس ولكنّه مهان منبوذ بين قومه ليجرّد الحجّة من طاقتها الحجاجية . (١١)

ومن الحجج التي تندرج ضمن الحجج شبه المنطقية الحجّة القائمة على التعجيز ، تعجيز العاذلة وإفحامها ، وفي ذلك يقول حاتم الطائي(١٢) :

وعاذلة هبّت بليلٍ تلومني وقد غاب عيّوقُ الثريّا وعرّدا

تلوم على إعطائي المال ضَلَّةً إذا ضنَّ بالمال البخيل وعرّدا

تقول ألا أمسكْ عليك فإنّني أرى المال عند الممسكين معبَّدا

....

ذريني يكن مالي لعرضي جُنّةً يقي المال عرضي قبل أن يتبدّدا

أريني جواداً مات هزلاً لعلّني أرى ما تَرَيْن أو بخيلاً مخلَّدا

وإلّا فكفّي بعض لومك واجعلي الى رأي من تَلْحَيْن رأيكِ مُسنَدا

تنطلق العاذلة في لوم الشاعر من ادّعاء مفادُهُ أنّه يُنفق أمواله في سُبُل الضلالة وأنّه لم يكن رشيداً في هذا الإنفاق وقد دعّمتْ هذا الادّعاء بحجّة مفادها أنّ هذا المال الذي يُبدِّدُهُ الشاعر هو عند الناس الممسكين إله يُعبَد ، فيعمد الشاعر الى تفنيد هذا الادّعاء وتلك الحجّة بحجّة أنّ المال من شأنه أن يحافظ على شرف الإنسان وسمعته ومكانته في المجتمع قبل أن يتبدّد في أمور لا طائل وراءها ، ويبدو أنّ هذه الحجّة لم تتمكّن من إقناع العاذلة ، الأمر الذي جعل الشاعر يعمد الى حجّة تعجيزية ، وهي الحجّة ((التي تقوم على إفحام المخاطب انطلاقاً من تعجيزه على أن يُدلي بما ينفي الرأي المقدَّم اليه ، فالمتكلّم إذ يقدّم رأياً أو يصرّح بفكرة يحمل المتلقي على الإذعان لها بدليل أنّه لا يملك دليلاً ينفيها.))(١٣) ، ومكمن التعجيز في هذه الحجّة أنّ الشاعر ينفي أن تجد العاذلة جواداً قد أهلكه الجوع ، وينفي في الوقت ذاته أن تجد بخيلاً مُخلّداً ، وإنْ وجدتْ – وهو يستبعد ذلك واقعاً ، لأنّ المعطيات المتحصَّلة من الواقع الجاهلي لا تقرّ بهلاك الكريم جوعاً مع وجود ثقافة الكرم في المجتمع الجاهلي ، كما لا تقرّ بتخليد ذكر الإنسان البخيل – فإنّه يُوافقُها الرأي في ما طرحته بشأن قضية الإنفاق ، وإنْ لم تجد – وهذا ما يجعل الشاعر متيقّناً منه استناداً لمعطيات الواقع

الجاهلي الآنفة الذكر – فينبغي عليها الإذعان لرأيه ومساندته وأنْ تكفَّ عن لومه وعذله . ومن الأمثلة الأخرى على الحجج شبه المنطقية ما دار بين السموأل بن عادياء وعاذلته من حوار ، إذ يقول(١٤) :

تُعيّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا فقلتُ لها : إنَّ الكرام قليلُ

وما قلّ من كانت بقاياه مثلنا شبابٌ تسامى للعلى وكُهولُ

وما ضَرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عزيزُوجارُالأكرمين ذليلُ

فالعاذلة تتخذ من قلّة عديد قوم الشاعر سبيلاً للطعن والتعيير والحطّ من مكانة قومه بين القبائل ، فيردّ عليها بسوْقه ثلاث حجج ، الأولى أنّ الكرام دائماً هم قليلون ، والثانية أنّه ينفي أن يكون لقلّة العديد أثر من سبّةٍ أو عار بوجود شباب وكهول لديهم من الأفعال والمآثر ما يؤهّلهم للارتقاء الى أعلى مراتب المجد والعلا والسؤدد ، والثالثة أنّه ينفي كذلك أنْ تكون قلّة العديد ذات أثر مضر على قومه طالما أنّ من يجيرونه عزيزاً وآمناً في كنفهم وبين ظهرانيهم ، ومن يجيرونه الأكرمون ذليلاً ولا يشعر بالأمان بينهم ، وواضح أنّ عقده هذه المقارنة التي انطوت عليها هذه الحجّة جاءت تدعيماً للحجّتين السابقتين لإقناع العاذلة بخطل ما تعتقد من أنّ قلّة العديد يعدّ سبّة وعاراً ، ومن ثمّ حمل العاذلة على التراجع والاعتذار عمّا بَدَر منها من قول لا يليق بالشاعر ومكانة قومه .

المبحث الثاني : الحجج المؤسَّسة على بنية الو اقع :

إنّ المقصود بالحجج المؤسَّسة على بنية الواقع هي الحجج التي ((تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلَّم بها وأحكام يسعى الخطاب الى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلَّم بها . وذلك يجعل الأحكام المسلَّم بها والأحكام غير المسلّم بها عناصر تنتمي الى كل واحد يجمع بينها . بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون التسليم بالآخر .))(١٥) وهذا النوع من الحجج لا يتّخذ من المنطق أساساً يستند عليه ((وإنما يتأسّس على التجربة وعلى علاقات حاضرة بين الأشياء المكوِّنة للعالم فالحجاج هنا ما عاد افتراضاً وتضميناً بل تفسيراً وتوضيحاً ، تفسيراً للأحداث والوقائع وتوضيحاً للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشيائه . فالمتكلم متى اعتمد هذا الصنف من الحجج إنّما يذهب في الواقع الى أنّ الاطروحة التي يعرضها تبدو أكثر إقناعاً كلّما اعتمدت أكثر على تفسير الوقائع والأحداث .))(١٦) وإنّ الخطاب الحجاجي كلّما حاكى الواقع ولامسه وانغرست مراجعه فيه واندكّت عناصره فيما حدث وما يحدث كان أنجع وأقدر على الفعل في المتلقي والتأثير فيه .(١٧) ومن حجج هذا النوع التي تعمد بنى الواقع وتتأسّس عليه الحجّة السببية وهي الحجّة التي تربط بين أسباب ظاهرة ما وبين نتائجها(١٨) ، ومن الأمثلة عليها قول عروة بن الورد(١٩) :

ذريني للغنى أسعى فإنّي رأيتُ الناس شرّهمُ الفقيرُ

وأهونهم وأحقرهم لديهم وإنْ أمسى لهُ كرمٌ وخِيرُ

ويُقصى في الندي وتزدريهِ حليلتُهُ وينْهرُهُ الصغيرُ

وتلقى ذا الغنى وله جلالٌ يكاد فؤادُ لاقيهِ يطيرُ

قليلُ ذنبهُ والذنبُ جمٌّ ولكنَّ الغنى ربٌّ غفورُ

يحتجّ الشاعر على عاذلته التي تلومه وتحاول أن تُثنيه عن المخاطرة بنفسه في الغزو وركوب المخاطر للسعي وطلب الغنى بخمسة أسباب يراه وجيهة للخروج ، وهي تمثّل حججاً مستقاة من الواقع الجاهلي المعاش ، وهي تمثّل قراءة دقيقة لهذا الواقع ، أولى هذه الحجج ، تتمثّل بكون الفقير شر في نظر المجتمع الجاهلي ، وثانيها ، هوان منزلته الاجتماعية ودونيتها لديهم وإنْ كان هذا الفقير ذا أصل كريم وخُلُق رفيعة فهي لا تشفع له عندهم ، وثالثها ، إقصاؤه وتهميشه ، فلا مكان له في نواديهم ومجالسهم ، ورابعها ، ازدراء واحتقار أقرب الناس له وهو زوجه ، وخامسها ، زجر الصغير له ، فالشاعر إذن يبني حجاجه على هذه الحجج الخمسة مشفوعة بالمقارنة بين الفقير والغني ، بين نظرة المجتمع للفقير التي فصّل فيها الشاعر وبين نظرته للغني ، نظرة الإجلال والاحترام والهيبة ، حتى أنّ المجتمع لَيغضّ الطرف عن مساوئه وذنوبه لثرائه وغناه ، فيُظهره بمظهر الإنسان العفيف السوي ذنوبه قليلة ، ولكنّه في حقيقة الأمر جمّ الذنوب ، وكل هذه الحجج التي احتجّ الشاعر على عاذلته تدعم نتيجة أولية للخطاب – قدّمها في مستهلّ خطابه - وهي السعي لطلب الغنى ومن ثمّ تحقيق العيش الرغيد والحياة الحرّة الكريمة للفقراء أمّا النتيجة الضمنية للخطاب هي كشف وتعرية الواقع الاجتماعي والاقتصادي المُزري الذي كان سائداً في المجتمع الجاهلي والذي كان يرزح تحت وطأته الفقراء . وبهذا يكون الشاعر قد دعّم موقفه من خلال عرض وطرح هذه الحجج التي يراها أدّت الغرض المنشود في الإقناع وما على عاذلته إزائها إلّا الإذعان والتسليم .

ويستخدم الأسود بن يَعفُر الحجّة ذاتها في حواره مع عاذلته ، إذ يقول(٢٠) :

لمّا رأتْ أنَّ شيبَ المرء شاملُهُ بعد الشباب وكان الشيبُ مسؤوما

صدّتْ وقالت : أرى شيباً تفرَّعَهُ إنَّ الشبابَ الذي يعلو الجر اثيما

فهو يعتمد الحجّة السببية حين يجعل من اشتماله على الشيب ومغادرته مرحلة الشباب سببا مباشراً لنتيجة مؤكّدة هي صدود المرأة عنه ، وعدم اهتمامها به ، وهو بذلك يُقرّ بهذا الواقع الجديد ، واقع التحول من الشباب الى المشيب ، ولكنّ الاستنتاج الأعمق والضمني هو أن هذه المحاورة أماطت اللثام عن إحساس الشاعر العميق والمؤلم بالزمن وما تولّد عنه من معاناة إذ ((تتنكّر له المرأة التي أحبّها ولا تجد منه ما يُغريها بمواصلته والمرأة هنا تمثّل الحياة التي أصبح عاجزاً عن الأخذ بأسبابها .)) ٢١

ويبني دريد بن الصمّة خطاباً موجّهاً لعاذلته على هذه الحجّة إذ يقول(٢٢) :

أعاذلُ إنّما أفنى شبابي ركوبي في الصريخ الى المنادي

مع الفتيان حتى كلَّ جسمي و أقرحَ عاتقي حملُ النجادِ

فهو يعتمد الحجّة السببية حين جعل نجدته لمن يستغيث به ويطلب العون منه في الحرب سبباً لنتيجة أولية ، هي إفناء شبابه وما استتبعه من ضعف جسمه وتقرّحه لطول ملازمته حمّالة السيف ، والنتيجة الضمنية

التي يهدف اليها خطاب الشاعر هي تأكيد شجاعته ونجدته وحمل العاذلة على الاقتناع به والإذعان له والكف عن عذله فضلاً عن الإعجاب به .

ومن الحجج الأخرى التي تندرج ضمن الحجج المؤسّسة على بنية الواقع حجّة التبذير وقد عرّفها بيرلمان بقوله ((بما أننا شرعنا في إنجاز هذا العمل وضحّينا في سبيله بما لو أعرضنا عن تمامه لكان مضيعة للمال وللجهد فإنّه علينا أن نواصل إنجازه .))(٢٣) وقد وردت هذه الحجّة في المحاورة التي أجراها معاوية بن مالك (معوّد الحكماء) مع عاذلته (سميّة) ، إذ يقول(٢٤) :

قالت سميّةُ : قد غويتَ ، بأن رأتْ حقّاً تناوبَ مالَنا ووفودُ

غيٌّ لعمركِ لا أزالُ أعودُهُ ما دام مالٌ عندنا موجودُ

فالشاعر يردّ على اتّهام العاذلة له بالغواية وعدم الرشد والابتعاد عن جادة الصواب بحجّة أنّ الكرم أصبح سلوكاً تعوّد عليه ، فقد عُرف به في الوسط الاجتماعي الجاهلي وهو مستمر على ممارسته ومزاولته ، ولا يمكنه بحال من الأحوال التخلّي عنه مهما كان الثمن طالما أنّ المال موجود ، والغاية التي يهدف اليها خطاب الشاعر هي التأكيد على ثقافة الكرم وإشاعتها وتمثّلها والتشجيع على ممارستها .

ومن الحجج التي تعتمد على بنى الواقع في تأسيسها حجّة التجاوز وهي حجّة تتأسّس على ((إمكانية الذهاب دائماً أبعد في اتجاه معيّن ، بدون أن يُستَشفَّ من هذا الاتجاه حدٌّ أو نهاية ، وذلك مع إعلاءٍ يتزايد باستمرار لقيمة ما . من ذلك قول الأستاذ لتلامذته : ((كلّما اجتهدتم أكثر ، كان ذلك أفضل .)) وهي لا تنظر إلّا الى قيمة واحدة ، ولا تحدّها أية قيمة أخرى قد تكون عائقاً أمام البلْورة المُفرطة للقيمة المُشاد بها . وأي إنجاز تمّ تحقيقه في المجال الذي تشتغل فيه هذه الحجّة لا يعتبر سوى مرحلة من مراحل تدرُّج لا نهائي .))(٢٥) ويُفهم من هذا الكلام أنّ هذه الحجّة تتأسّس على إمكانية ما عُدَّ عائقاً لابد من تجاوزه لبلوغ مستوى أعلى وصولاً للغاية المنشودة(٢٦) ، ومن الأمثلة على هذه الحجّة قول مُصَرِّف بن الأعلم العُقَيْلي ، إذ يقول(٢٧) :

رحلتْ أُميْمةُ للفراق فأصبحتْ بعد الصفاء رحيلُها يتقطّعُ

وتبدّلتْ بدلاً سواكَ وليتَها تدنو وقربٌ للمودة ينفعُ

لا تيأسنّ فقد يُشِتُّ ذوي الهوى حِدْثانُ صرفِ الدهرِ ثُمَّتَ يَرجِعُ

فلَعمْرُ عاذلتي على تَبَعِ الصِّبا إنّي بحبِّ الغانيات لَمولَعُ

ويقلُّ مالي قد علمتِ فلا أُرى للدهرِ حين يَعُضُّني أتخشّعُ

وتُصيبُني فيه قوارعُ جمَّةٌ فتزِلُّ عن عودي وما أتضعضعُ

فهو يوظّف هذه الحجّة في هذا النص مرتين ، المرّة الأولى : حين كشف عن أنّ رحيل حبيبته وفراقها له بعد الود والصفاء الذي كان بينهما ، واستبداله بغيره ، لا يُسلمه الى اليأس والإحباط ، فقد يتعرّض المحب في درب الهوى الى الكثير من العثرات والمنغِّصات ، لكن لا ينبغي التأثر بها والاستسلام والرضوخ لها ، بل لابد من أن

تزيده إصراراً وعزيمة على تجاوزها والمضي قُدُماً في بلوغ مراده وتحقيق ما كان يصبو اليه ، والثانية : حين كشف أنّ مصائب الدهر وحوادثه الكثير التي تسبّبت في قلّة ماله وإفقاره ، لا تتمكّن من إذلاله وفرض سطوته عليه ، فهي تزلّ عنه على حدّ تعبير ولا تؤثر فيه ولا تُضعفه ، بل يعدّها حالة عارضة لابد من الإصرار على تجاوزها ومواصلة رحلته في الحياة ، والشاعر في الحالتين يحتجّ لسموّ نفسه ورفعتها وإصرارها على المضي في رحلة الحياة الطويلة رغم ما تعترضها من حوادث ومنغِّصات وصولاً الى ما تصبو اليه .

ومن الحجج الأخرى التي تعتمد بنى الواقع في تأسيسها حجّة السلطة ، وهي الحجّة التي تنبني على هيبة المتكلم ونفوذه وسطوته كما تنبني على أعمال الشخص أو مجموعة أشخاص أو أحكامهم وتكون حجّة على صحّة أطروحة ما .(٢٨) وتتنوّع السلطة وتتعدّد مضامينها فقد تكون (الإجماع أو الرأي العام أو الفلاسفة أو الكهنوت أو الأنبياء وقد تكون هذه السلطة غير شخصية مثل الفيزياء أو العقيدة أو الدين أو الكتاب المقدس ، وقد يعمد في الحجاج بالسلطة الى ذكر أشخاص معيّنين بأسمائهم على أن تكون سلطة هؤلاء جميعاً معتَرفَاً بها من قبل جمهور السامعين ، في المجال الذي ذكرت فيه .))(٢٩) ومن الأمثلة عليها قول الأعشى ، إذ يقول(٣٠) :

و أنكرتني وما كان الذي نكرتْ من الحوادث إلّا الشيبَ والصلعا

قد يترك الدهرُ في خلقاء راسيةٍ وهياً ويُنزلُ منها الأعصمَ الصَّدعا

فالشاعر يكشف في هذا الخطاب عن تنكّر حبيبته له بسبب ما آل اليه حال الشاعر من الكبر حتى امتلأ رأسه شيباً وصلعاً ، معلّلاً ذلك بفعل الدهر به ، هذه القوّة الخارقة الغاشمة التي لا يستطيع أحد مواجهتها ، ويسوق الشاعر مثالاً يؤكّد فيه قوّة الدهر بالصخرة الملساء القوية التي يُحدث الدهر فيها شقّاً وخرقاً ، وبالوعل الذي لا ينجو منه مهما تحصّن واعتصم . فهو يحتجّ عليها بحجّة السلطة متّخذاً من الدهر وسطوته حجّة لإقناع عاذلته وحملها على الإذعان له وتغيير موقفها منه ، والكفّ عن تجاهله والتنكّر له ، والنتيجة الضمنية المتحصّلة التي يهدف اليها الخطاب هي أنّ الدهر قوة فاعلة ومؤثرة في الأشياء وعجز الإنسان عن مواجهته والتصدّي له .

ويوظّف عنترة حجّة السلطة في قوله(٣١) :

بكرتْ تخوّفُني الحتوفَ كأنّني أصبحتُ عن غرض الحتوف بمعزلِ

فأجبتها أنَّ المنيّةَ منهلٌ لا بدَّ أنْ أُسقى بكأس المنهلِ

فاقنَيْ حياءَكِ لا أبا لكِ واعلمي أنّي امرؤٌ سأموتُ إنْ لم أُقْتَلِ

يردّ الشاعر على عاذلته التي تخوّفه بالموت في محاولة منها لتثبيط عزيمته وهمّته القتالية ، بأنّ المنية منهلٌ ، لابدّ أن يردَه ويُسقى من كأسه شاء أم أبى ، فهو يُقرّ بحتمية الموت ، لذا فهو يحتجّ عليها به لما للموت من سلطة على النفوس ، إذ لا أحد يفلت من قبضته ، وهو يذكّرها بهذه الحقيقة التي لا أحد يستطيع إنكارها ، والشاعر إذ يحاججها بسلطة الموت فهو يريد إقناعها وحملها على الإذعان لتغيير موقفها منه والكف عن تثبيط عزيمته وروحه القتالية .

ومن الأمثلة على هذه الحجّة أيضاً قول حاتم الطائي (٣٢) :

وعاذلتَيْنِ هبّتا بعد هجْعةٍ تلومانِ متلافاً مُفيداً مُلوَّما

تلومان لمّا غوَّرَالنجمُ ، ضَلَّةً فتىً لا يرى الإتلافَ في الحمد مغْرما

فقلتُ وقد طالَ العتابُ عليهما وأوعَدتاني أنْ تبينا وتَصْرما

ألا لا تلوماني على ما تقدَّما كفى بصروف الدهرللمرءِ مُحْكِما

فإنّكما لا ما مضى تُدركانِهِ ولسْتُ على ما فاتني مُتَنَدِّما

تكشف هذه المحاورة التي أجراها الشاعر مع عاذلتين تحفّزتا لعذله عن أنّهما قد أسرفتا في لومه وعتابه الى الحدّ الذي هدّدتاه بقطع العلاقة معه إنْ لم يكفّ عن إتلاف المال على حدّ تعبيره ، فيحتجّ عليهما بثلاث حجج أولاها : أنّ لومهما ضلالة وكل ضلالة هي نقيض الرشد والهداية والعقل ، وثانيها : أنّه يرى ((بأنّ إنفاقه للمال ليس تضييعاً له ، بل هو جلب لفائدة عظيمة هي تخليد الذكر واكتساب الحمد ، انطلاقاً من قناعته بأنّه لا يرى الإتلاف في الحمد مغرما .))(٣٣) وثالثها : حجّة السلطة ، سلطة الرجل العالم الحكيم الذي صقلته صروف الدهر وعلّمته الحكمة والعلم وغذّته تجارب الحياة ، فخبر أحوالها وتقلّباتها ، في خيرها وشرّها ، وبؤسها ونعيمها ، وسعادتها وشقائها ، ولذّتها وألمها ، وإذ قام الشاعر بعرض هذه الحجج التي تُبطل دعوى هاتين العاذلتين وتُثبت عدم جدوى لومهما ، فهو لا يرى سبيلاً سوى التسليم بها والإذعان لها ومن ثمَّ تغيير موقفهما ، وهذا ما يتوخّاه الخطاب ويسعى الى تحقيقه .

وتندرج ضمن حجّة السلطة حجّة أخرى هي حجّة الشخص وأفعاله وهي ((علاقة الشخص بالفعل الذي يُسند اليه.)) (٣٤) وتتأسّس هذه الحجّة ((على اعتبار الصلة وثيقة بين أي شخص وأعماله وخاصة على مبدأ ثبات الشخصية بحيث إنْ قامت بفعل معيّن أو اتّخذت موقفاً محدّداً فلأنها عُرفت بخصال معلومة منذ زمن بعيد وستظلّ كذلك ما بقيت على قيد الحياة .))(٣٥) ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الحجّة غالباً ما تُعتمد ((بطريقة عكسية فيعمد المؤسس للخطاب الحجاجي الى كسر العلاقة بين الشخص وأعماله مشكّكاً في ثبات الشخصية أو متعلّلاً بتطوّر الظروف وتغيّر المقامات أو متّخذاً التغيّر أو التقلّب في ذاته مبرّراً لبتر العلاقة حين يجعله من السمات المميّزة للشخص المتحدث عنه .))(٣٦) ومن الأمثلة عليها قول عبيد بن الأبرص(٣٧) :

زعمتْ أنّني كبرتُ و أنّي قلّ مالي وضنَّ عنّي الموالي

وصحا باطلي وأصبحتُ كهلاً لا يؤاتي أمثالها أمثالي

إنْ رأتْني تغيَّراللونُ منّي وعلا الشيبُ مفرقي وقذالي

فبما أدخلُ الخباء على مهْ ضومةِ الكشْحِ طفْلةٍ كالغزالِ

فتعاطيتُ جيدها ثمَّ مالتْ ميلانَ الكثيبِ بين الرمالِ

ثمَّ قالت فديً لنفسكَ نفسي وفداءٌ لمال أهلكَ مالي

ينقل لنا الشاعر حواراً دار بينه وبين عاذلته التي تزعم فيه أنّ الشاعر كبر وافتقر وتغيّرت حاله فأصبح شيخاً كبيراً ، فلم يعُد قادراً على اللهو ومواصلة النساء معتمدة كسر العلاقة بين الرجل وأفعاله متعلّلةً بتغيّر أحوال الشاعر وتقدّم الزمان به فما كان عليه في الماضي من همّة ونشاط ومواصلة النساء لم يكن قادراً عليه الآن ، لذا فإنّ الشاعر أراد أن يُثبت لها أنّ مزاعمها باطلة ، عمد الى توظيف الحجّة باتّجاهها الأصلي مؤكّداً قوّة العلاقة بين الرجل وأفعاله ومتانتها في الوقت الذي يؤكد فيه أيضاً ثبات الشخصية ودوام الأفعال ، فلكي يُثبت ذلك راح الشاعر يستعرض مغامرة من مغامراته مع فتاة رشيقة الخصر تشبه الغزال في الجمال والحسن . واضح من أنّ هذه الحجّة تحتمل الجدل والتعارض ، فالطرف الأول/ العاذلة يحاول التشكيك بقدرة الطرف الثاني/الشاعر على الفعل ، والأخير يحاول إبطال هذه الشكوك ونقضها بإثبات القدرة على الفعل ، وهذا الجدل يعكس روح التفاعل الايجابي بين طرفيه ، الذي يُفضي بدوره في النهاية الى اقناع العاذلة بأطروحة الشاعر ، إذ هي الغاية المتوخاة من خطابه .

ومن أنواع حجج السلطة حجّة الرمز، إذ يرى بيرلمان أنّ ثمّة علاقة تربط بين ((الرمز وما يوحي به في إطار علاقة ((مشاركة)) مطروحة ضمن منظور أسطوري أو نظري لمجموع ينتمي اليه كل من الرمز والمرموز اليه))(٣٨) وبسبب علاقة المشاركة بين الرمز والمرموز اليه ((يُصبح أي سلوك تجاه الرمز يمسُّ بشكل مباشر بالمرموز اليه .))(٣٩) ومن الأمثلة على حجّة الرمز قول السموأل بن عادياء في سياق خطاب العاذلة ، إذ يقول(٤٠) :

تُعيّرُنا أنّا قليلٌ عديدُنا فقلتُ لها : إنَّ الكرام قليلُ

وما قلّ من كانت بقاياه مثلنا شبابٌ تسامى للعلى وكُهولُ

وما ضَرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عزيزٌوجارُالأكرمين ذليلُ

لنا جبلٌ يحتلُّهُ من نُجيرُهُ منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليلُ

رسا أصلُهُ تحت الثرى وسما بهِ الى النجم فرْعٌ لا يُنالُ طويلُ

هو الأبلقُ الفردُ الذي شاع ذكرُهُ يعِزُّعلى منْ رامَهُ ويطولُ

لقد جاءت حجّة سلطة الرمز تدعيماً لحجج سابقة عليها(*) حاول الشاعر من خلالها إقناع العاذلة التي انتقصت من قومه وقلّلت من شأنهم بقلّة عديدهم ، ويتمثّل هذا الرمز بحصن (الأبلق)(*) الذي احتجّ به الشاعر على عاذلته وراح يُضفي عليه صفات القوّة والارتفاع والمنعة وثبات الأصل ومتانته وشيوع الذكر فضلاً عن فرادته وتميّزه ، وما هذه الصفات التي ذكرها الشاعر إلّا استدلالاً على قوتهم وعزّهم ومنعتهم التي شكّكت بها العاذلة ، وبذلك يكون الشاعر قد ضيّق الخناق عليها ، فما من حيلة لديها سوى التسليم والإذعان وهذا ما يتوّخاه الخطاب ويسعى اليه .

المبحث الثالث : الحجج المؤسِّسة لبنية الو اقع :

نعني بالحجج المؤسِّسة لبنية الواقع الحجج التي ((تربطها صلة وثيقة بالواقع ولكنّها لا تتأسّس عليه ولا تنبني على بنيته ، وإنّما هي التي تؤسِّس هذا الواقع وتبنيه أو على الأقل تكمِّله وتُظهر ما خفي من علاقات بين أشيائه ، أو تُجلي ما لم يُتوقّع من هذه العلاقات وما لم يُنتظر من صلات بين عناصره ومكوّناته .))(٤١) ومن الحجج التي تندرج ضمن هذا النوع من الحجج ، الحجج التي تستدعي المشترك ، والاستدلال بواسطة التمثيل .

أولاً : الحجج التي تستدعي المشترك :

واستدعاء المشترك يعني ((الاستناد الى ما يشكّل موضوع اتفاق بين المتلقّين أو يمثّل جملة من المعارف المشتركة الشائعة بينهم ذلك أنّ للمشترك سلطته على النفوس فهي تذعن لما تعوّدت عليه أو لكل ما يستدعي ما تعوّدت عليه وتنفر ممّا يخالف ما عرفته ويجانب ما آمنت به وصدّقته .))(٤٢) ومن هذه المشتركات في المنظومة الثقافية العربية ، الأمثال والحِكَم والأساطير والحكايات الشعبية والخرافات يوظّفها الشعراء على سبيل التعليل والتبرير فتُصبح أداة من أدوات الحجاج وتقنية من تقنيّات الاستدلال .(٤٣) وفي استقرائنا للنصوص الشعرية التي شكّلت خطاب العاذلة ، وجدنا أنّ الشعراء الجاهليين وظّفوا نوعين من هذه المشتركات هما المثل والأسطورة .

- **استدعاء المثل :**

يمكن تعريف المثل بأنّه ((عبارة عن قولٍ يُشبِهُ قولاً في شيءٍ آخر بينهما مُشابهةٌ ليُبيّن أحدُهُما الآخرَ ويُصوِّرُهُ نحو قولهم الصّيْفَ ضَيَّعتِ اللبنَ ، فإنّ هذا القول يُشبِهُ قولك أهْمَلْتَ وقتَ الإمكان أمرَكَ .))(٤٤) ولا يخرج معنى المثل عن هذا المعنى عند المحدثين فهو ((قول موجز سائر ، صائب المعنى ، تُشَبَّهُ به حالة حادثة بحالة سالفة .))(٤٥) وإنّ الطاقة الحجاجية للمثل ((إنما تقوم في جوهرها على القياس قياس الحالة الحاضرة الراهنة على أخرى مشابهة يعرفها الجميع ويدركون أبعادها فمتى سلّموا فإنّهم سيسلّمون بالحاضرة .))(٤٦) ومن الأمثلة على توظيف المثل قول عروة بن الورد ، إذ يقول(٤٧) :

ذريني أطوّفْ في البلاد لعلّني أخلّيكِ أو أُغنيكِ عن سوء محضرِ

فإنْ فازسهمٌ للمنية لم أكنْ جزوعاً وهل عن ذاك من متأخّرِ

وإنْ فازسهمي كفَّكم عن مقاعدٍ لكم خلف أدبار البيوت ومنظرِ

فالشاعر في هذا الخطاب يضع العاذلة التي تحاول منعه عن الغزو والمخاطرة في النفس أمام احتمالين ، الأول : أن يُقتَل فعنئذ يفارقها الى الأبد فَينفرط عقد الزواج بينهما ، والثاني : أن يسلم ويغنم فيكفّها عن الجلوس عند أدبار البيوت ، فلكي يُقنع عاذلته بهذا الطرح دعّمَه بمعنى مشابه يعرفه الجميع حين تمثّل بمثل ينطوي على هذا المعنى ، استقاه الشاعر من الواقع الجاهلي وبنى عليه حجّته فـ ((يقال للذي يخرج سهمُهُ في القداح أولاً : قد فاز سهمُهُ ، وفوز السهم : خروجُهُ أولاً ، فإذا خرج ، كان له الظفر والنجاة ، يريد : كأنّي أقارعُ المنيّة فإنْ قرعتني ، أي : قُتِلتُ لم أكن جزوعاً . وإن فاز سهمي ، أي : وإنْ قرعْتُها وسلِمْتُ غنِمْتُ .))(٤٨) وبناءً على ما تقدّم ، فالتسليم بمضمون المثل يقتضي التسليم بالحالة المشابهة ، بمعنى تسليم العاذلة بأطروحة

الشاعر ، ومن ثمّ تغيير موقفها منه والكفّ عن لومه على الخروج للغزو والمخاطرة بالنفس ، وهذا ما يهدف اليه الخطاب ويسعى الى تحقيقه .

- **استدعاء الأسطورة :**

يمكن تعريف الأسطورة بأنّها ((حكاية خيالية قوامها الخوارق والأعاجيب تتجاوز العقل الموضوعي ، وهي تروي – فضلاً عن ذلك – تأريخاً مقدّساً – لكل ما سطّره العرب الجاهليون – يلعب أدواره الآلهة ، وأنصاف الآلهة ، والكائنات الغيبية ، وبعض البشر المتفوّقين ، مستمدّاً أصوله من فكر بدائي موغل في القدم .))(٤٩) وتكمن طاقتها الحجاجية في كونها تعتمد القياس شأنها في ذلك شأن المثل ويُستَشهد بها لـ ((قياس حالة راهنة على أخرى متجذّرة في الذاكرة الجماعية راسخة في ضمير العربي .))(٥٠) ومن الأمثلة عليها في خطاب العاذلة قول غُويَّة بن سلمى بن ربيعة الضبّي ، إذ يقول(٥١) :

هزِئتْ أُمامةُ أنْ رأتْ هرمي وأنِ انحنى لتقادمي ظهري

....

لا تهزئي مني أُمامُ فما في ذاك من عجبٍ ولا سَخْرِ

أوَلم تَرَيْ لقمان أهلكَهُ ما اقتاتَ من سنةٍ ومن شهرِ

وبقاءُ نَسْرٍ كلّما انقرضتْ أيّامُهُ عادتْ الى نسرِ

ما عادَ من أبدٍ على لُبَدٍ عادتْ محورَتُهُ الى قصْرِ

يحاول الشاعر في هذا النص إقناع هذه المرأة التي سخِرَتْ منه بسبب هرمه وانحناء ظهره ، بأنّ الهرم والشيخوخة ليس عيباً يستدعي الهزء والسخرية ، وإنّما هو حالة طبيعية وسنّة من سُنَن الحياة وهو مآل كل إنسان في هذه المعمورة ، لذا فإنّه راح يستدعي حالة مشابهة لحالته ، فاستدعى أسطورة لقمان ونسوره السبعة ، إذ طال به العمر حتى استفد أعمارها جميعاً ، فهلاك لُبَد آخر نسوره هلك لقمان ، لما لها من رسوخ ومقبولية في الوعي الجمعي العربي ، ليتّخذها حجّة في الرّد على عاذلته وإبطال سخريّتها ، ومن ثمّ التسليم والإذعان له وتغيير موقفها منه ، أمّا الاستنتاج الضمني المتحصّل من هذا الخطاب أنّ مصير الإنسان الى الفناء مهما عمّر وطال به الزمن ، فلابد من الاعتبار بهذه المضامين لتعديل المواقف والسلوك وتصحيحها .

ثانياً : الاستدلال بواسطة التمثيل :

يعدّ التمثيل في الحجاج ((أداة برهنة فهو ذو قيمة حجاجية وتظهر قيمته الحجاجية هذه حين ننظر اليه على أنّه تماثل بين البنى وصيغة هذا التماثل العامة هي أنّ العنصر (أ) يمثّل بالنسبة الى العنصر (ب) ما يمثّله العنصر (ج) بالنسبة الى العنصر (د) ، .. وما يميّزه من مفهوم المشابهة المبتذل على نحو ما ، أنّه ليس علاقة مشابهة وإنّما هو تشابه علاقة .))(٥٢) والاستدلال بواسطة التمثيل يعني ((تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات . . فهو احتجاج لأمر معيّن عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر فندخل بذلك مجال التشبيه والاستعارة أو ما عالجه الفلاسفة تحت عنوان القياس الشعري.

))(٥٣) والقياس الشعري يقوم بالأساس على ((مقدمتين صغرى وكبرى يقودان الى استنتاج وهو بشكله هذا يعدّ قياساً صريحاً ولكنّ ما يظهر في الشعر عادة هو الشكل الضمني من القياس أي يكتفي الشاعر عادة بالاستنتاج الذي يخفي مقدمتين وذلك طبيعي لأنّ الشكل الصريح يهدم طاقة الاستعارة أو التشبيه الايحائية ويهدّد بشكل قاطع قدرة الصورة على الفعل والتأثير .))(٥٤)

ومن خلال استقرائنا لخطاب العاذلة وجدنا ثمّة ثلاث أدوات تمثيلية هي التشبيه الضّني ، والتشبيه البليغ ، والاستعارة .

- **التشبيه الضّمني :**

يعدّ التشبيه الضّمني من الأدوات التمثيلية الحجاجية فقد ((عدّه القدامى قياساً خطابياً يجوز حضوره في الشعر ليدعّم الفكرة ويبرر الرأي أو الموقف ..))(٥٥) وتكمن حجاجية هذا النوع من التشبيه كونه يتأسّس عل مقدّمات ويفُضي الى نتيجة . (٥٦) ومن الأمثلة عليه قول جذل بن أشمط العبدي ، إذ يقول(٥٧) :

يا هذه كم يكون اللوم والفندُ لاتُنكري رجلاً أثو ابه قَدَدُ

إنْ أُمسِ منفرداً فالبدرُمنفردٌ والليثُ منفردٌ ، والسيف منفردُ

أوكنتِ أنكرتِ بُرديْهِ وقد خَلِقا فالبحرُمن فوقه الأقذاء والزبَدُ

أوكان صرف الليالي عنكِ غيّرَهُ فإنَّ تحت ثيابي ضيغمٌ أسدُ

ينطوي هذا النص على بنية مركّبة ، إذ يتضمّن البيت الثاني ثلاث حالات من التشبيه الضّمني ، ويتضمّن كل من البيت الثالث والرابع على تشبيه ضمنيّ واحد ، ينقل لنا الشاعر في البيت الأول إكثار عاذلته من لومه وإنكارها وتجاهلها له بسبب ظهوره بهذه الهيأة الرثّة والأثواب الممزّقة ، وهذا ما جعله يبدو منفرداً يتجنّبه الآخرون ، لذا فهو يحتجّ في البيت الثاني لجماله وشجاعته مؤكداً أنّ الهيأة التي ظهر فيها لا تقلّل من جماله وشجاعته ، فإذا أردنا بيان الطاقة الحجاجية لهذا التشبيه فلابد من الرجوع الى بنيته القياسية التي تأسّس عليها والتي تتّضح بالشكل الآتي ، إذ م١ تعني المقدمة الأولى ، وم٢ تعني المقدمة الثانية :

م١ : الشاعر منفرد

م٢ : البدر منفرد

بما أنّ البدر منفرد بجماله عن بقية الكواكب

إذن النتيجة : أنّ الشاعر منفرد بجماله عن بقية الناس

م١ : الشاعر منفرد

م٢ : الليث منفرد

بما أنّ الليث شجاع وينفرد بشجاعته عن بقية الحيوانات

إذن النتيجة : أنّ الشاعر شجاع وينفرد بشجاعته عن بقية الناس

م١ : الشاعر منفرد

م٢ : السيف منفرد

بما أنّ السيف ينفرد بقوّته ورمزيته عن بقية أدوات القتال

إذن النتيجة : أنّ الشاعر ينفرد بقوّته عن بقية الناس

البيت الثالث :

م١ : الشاعر أثوابه رثّة وبالية

م٢ : البحر من فوقه الأقذاء والزَبَدُ

بما أنّ الأقذاء والزبد التي تطفو على سطح البحر لا تقلّل من رهبته وهيبته

إذن النتيجة : أنّ الأثواب الرثّة والبالية التي يرتديها الشاعر لا تقلّل من شأنه وهيبته بين الناس

البيت الرابع :

م١ : الشاعر جسمه مُنْهَك ومُتْعَب

م٢ : تحت هذا الجسم ضيغم أسد

بما أنّ هذا الجسم ينطوي على همّة الأسد الباسل الشجاع

إذن النتيجة : أنّ الشاعر يبقى ذا همّةٍ قويّاً شجاعاً لا تؤثّر فيه حوادث الزمان

وتتّضح من خلال تحليل هذا النموذج ((أهميّة التشبيه الضّمني في الحجاج إذ يكفي أنْ يسلّم المتلقّي بالنتائج ليقبل النتيجة وهو ما يجعل هذا النوع من التشبيه يحتلّ منزلة تعلو منزلة الكلام العادي في السلّم الحجاجي))(٥٨) وثمّة لون آخر من التشبيه له أهميته في الحجاج ، إذ يكتنز طاقة حجاجية يُعتدّ بها إذا ما وظّف في النصوص الشعرية بأسلوب فني يجعله صالحاً ومقبولاً للمحاججة ، ألا وهو التشبيه البليغ أو التشبيه المضمر وهو التشبيه الذي تكون فيه أداة التشبيه مقدّرة(٥٩)، ومن الأمثلة عليه قول السموأل بن عادياء ، إذ يقول(٦٠) :

سلي إنْ جهِلتِ الناسَ عنّا وعنهُمُ فليس سواءً عالمٌ وجهولُ

فإنّ بني الريّان قُطْبٌ لقومهمْ تدورُرَحاهُمْ حولهم وتجولُ

ورد البيتان في سياق الفخر ، فخر الشاعر بقومه وهما مع أبيات أخرى سبقتهما يمثّلان ردّاً من الشاعر على العاذلة التي عيّرتهم وانتقصت من شأنهم بين القبائل بقلّة عديدهم(*)، فالشاعر يطلب منها أن تسأل الناس عنه وعن قومه وتتحرّى أحوالهم ، وتستقصي كافة المعلومات والتفاصيل عنهم ليُخبروها بذلك ، فالعالم ليس كالجاهل ، فلكي يُقنعها بما لقومه (بني الريّان) من شأن ومكانة رفيعة ، وإنّ أمر قومهم لا يستقيم إلّا بهم ، شبّه حالهم بحال القطب والرحى ، فالرحى لا تعمل إلّا بالقطب ، وإذا رددنا التشبيه الى بنيته القياسية اتّضحت لنا طاقته الحجاجية وفاعليته في الإقناع في ضوء الشكل الآتي :

جملة التشبيه : بنو الريّان قطبٌ لقومهم

الجملة الاعتيادية أمر قومهم لا يستقيم إلّا ببني الريّان

الجملة الحجاجية عمل الرحى لا يستقيم إلّا بالقطب

النتيجة الأولية أنّ قومهم هم الرحى ، وبنو الريّان هم القطب

الاستنتاج الضّمني أنّ بني الريّان لهم الأمر والنهي في قومهم ..... والسيادة على قومهم .

- **الاستعارة :**

تعدّ الاستعارة من الأدوات التمثيلية الحجاجية ، وتكمن حجاجيتها في كونها تمثّل ضرباً من القياس ، فالتسليم بالمقدمتين الصغرى والكبرى يقودان الى التسليم بالاستنتاج ، وقوّة الاستعارة تتأتّى من قدرتها على التقريب بين عنصرين من نظامين مختلفين وجعلهما متماهيين ومنصهرين في بوتقة واحدة .. فتقام تراتبية معيّنة منها نستنتج حكماً .(٦١) ومن الأهمية بمكان أن نذكر السلّم الحجاجي لأنّه ((يهدف الى وصف الأقوال وتحديد مراتبها باعتبار وجهتها وقوّتها الحجاجيتين ، فالسلّم الحجاجي بهذا المعنى هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها على الشكل الآتي :

ن = النتيجة

أ وب قولان أو حجّتان

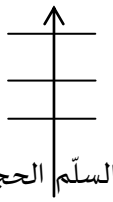

ففي ضوء هذا الرسم نتبيّن قانونين يحكمان السلّم الحجاجي : أحدهما أنّ كل قول يرد في درجة ما من درجات السلّم يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه فـ ب أقوى حجاجياً من أ وثانيهما : أنّه إذا كان القول أ يؤدي الى نتيجة ن فإنّ ذلك يعني بالضرورة أنّ ب الذي يعلوه في السلّم الحجاجي يؤدي اليها ولكنّ العكس غير صحيح .))(٦٢)

ومن الأمثلة عليها قول ثعلبة بن عمرو بن عبد القيس ، إذ يقول(٦٣) :

تهزّأتْ عرسي واستنكرتْ شيبي ففيها جنفٌ وازورارْ

لا تكثري هزئاً ولا تعجبي فليس بالشيب على المرء عارْ

عمرك هل تدرين أنّ الفتى شبابُهُ ثوبٌ عليه مُعارْ

يكشف الشاعر في هذا النص عن تعرّضه لسخرية زوجته واستنكارها شيبه ، مُعلِّلاً ذلك بأنّها قد عدلت عن قول الحق ، ومالت عن جادة الصواب ، فهو لا يُقرّ بهذا الموقف ، ويرى أنّ الشيب ليس عاراً على الإنسان ، بل يُكسبه وقاراً وهيبةً ، وإنّ الشباب زائل لامحالة ، وإذا أردنا أن نتبيّن طاقة الاستعارة الحجاجية وفاعليتها في الإقناع لابد لنا من أن نردّها الى بنيتها القياسية وفق السلّم الحجاجي الآتي :

الاستنتاج الضّمني النهائي ← ن٢ عجز الإنسان عن مواجهة الزمان

النتيجة الضّمنية الأولية ← ن١ الشيب وقار وهيبة والشباب جهل وطيش

الجملة الاستعارية (الحجاجية) ← ب الشباب ثوبٌ معار

الجملة الاعتيادية ← أ الشباب زائل لا محالة

واضح من السلّم الحجاجي أنّ الجملة الاستعارية (ب) أقوى حجاجياً من الجملة الاعتيادية (أ) . وهنا لابد من الإشارة الى أنّه من الصعوبة بمكان دحض الحجّة القائمة على تشبيه أو استعارة ، ذلك ((أنّ القائل يورّطنا حين يُجبرنا على تأويل الصورة ويقودنا دون أن نعي الى نتيجة في الخطاب واحدة لا بديل عنها ، فإذا وصلنا اليها صعب دحضها والحال أنّنا من أظهرها وقرّرها عن طريق تفكيك الصورة وتأويل البيت .))(٦٤)

الهوامش :

(*) ينظر الدراسات : العاذلة في الشعر العربي قبل الاسلام (دراسة في البنية الموضوعية والفنية) : د. طاهر عبد الحسين ، د. مولود محمد زايد ، بحث منشور في مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية ، مج/٨،العدد/١٥،كانون الأول ، ٢٠٠٩ ، ظاهرة العذل في الشعر الجاهلي (دراسة تحليلية) : د. رعد أحمد الزبيدي ، بحث منشور في مجلة كلية التربية الأساسية ، الجامعة المستنصرية ، العدد/٧٥، ٢٠١٢ ، ظاهرة العذل في شعر حاتم : علي أبو زيد ، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ، مج/١٨، ع١، ٢٠٠٢ ، العاذلة (قراءة في شعر الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الأموي : مريم حسين الحارثي، بحث منشور في مجلة البحث العلمي في الآداب ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة عين شمس ، ج٣/العدد/٢٠ ، ٢٠٠٩ ، حوار العاذلة في الشعر القديم : خالد ناجي السامرائي ، بحث منشور في مجلة كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، مج/٢٧/العدد/٣سبتمبر-أيلول ، ٢٠١٦ ، عذل الشاعر في الشعر العربي القديم حتى نهاية العصر الأموي : أسماء عبد الله الزيد ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، السعودية ، ٢٠٠٤ ، العاذلة في شعر الجاهلية وصدر الاسلام(دراسة في التشكيل الفنّي) : د. محمد فؤاد نعناع ، اتّحاد الكتاب العرب ، سوريا ، مج/٢٥، ٤/٩٩، تشرين الأول ، ٢٠٠٥

(١) ينظر : لسان العرب(مادة ، حجج)

(٢) الحجاج والاستدلال الحجاجي(عناصر استقصاء نظري) : حبيب أعراب : ٩٩

(٣) أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم : ٢٩٩

(٤) م . ن : ٢٩٩

(٥) ينظر : الحجاج في الشعر العربي / بنيته وأساليبه : د. سامية الدريدي : ٢٢

(٦) ينظر: نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : د. الحسين بنو هاشم : ٥٧

(٧) الحجاج ، أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال ، مصنّف في الحجاج – الخطابة الجديدة ، لبرلمان وتيتكان : عبد الله صولة ، ضمن كتاب أهم نظريات الخطاب في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم : ٣٢٥

(٨) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : ٦٩

(٩) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه : د. سامية الدريدي : ٢٥٣

(١٠) ديوانه : ٢٠٠

(١١) شعره : ٤٦-٤٧ ، وينظر : ديوان حاتم : ٢٣٩- ٢٤١

(١٢) ينظر : الحجاج في الشعر العربي / بنيته وأساليبه : ٣٤٧

(١٣) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته : ٣٢٨

(١٤) وردت هذه الحجّة في سياق خطاب العاذلة تدعيماً لحجّة السلطة التي بنى عليها حاتم الطائي خطابه ، إذ سنقوم بتحليل هذا النص في موضعه من البحث .

(١٥) ديوانه : ٢٢٥

(١٦) ينظر : الحجاج في الشعر العربي / بنيته وأساليبه : ٢٠١-٢٠٢

(١٧) ديوانه : ٢٢٩

(١٨) الحجاج في الشعر العربي / بنيته وأساليبه : ١٣٥

(١٩) ديوانا عروة والسموأل : ٩٠

(٢٠) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته : ٣٣١

(٢١) الحجاج في الشعر العربي : ٢١٤

(٢٢) ينظر : م . ن : ٢١٤

(٢٣) ينظر : الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته : ٣٣٣

(٢٤) شعر عروة : ١٢٣

(٢٥) ديوانه : ٥٩-٦٠

(٢٦) الأدب الجاهلي ، قضايا ، وفنون ، ونصوص : د. حسني عبد الجليل يوسف : ٣٥٦

(٢٧) ديوانه : ١٧٦

(٢٨) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته : ٣٣٣ ، وينظر : نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : د. الحسين بنو هاشم ، تحت عنوان (حجّة التبديد) : ٧٤

(٢٩) المفضّليات : ٣٥٦ ، وينظر في الحجّة نفسها : ديوان حاتم الطائي : ١٨٧ ، ٢٣٠

(٣٠) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : د. الحسين بنو هاشم : ٧٦

(٣١) ينظر : الحجاج في الشعر العربي / بنيته وأساليبه : ٢٢٦

(٣٢) أشعار العامريين الجاهليين : ٧٩ ، وينظر في الحجّة ذاتها والموضوع ذاته (الدهر) : قصيدة أبي ذؤيب الهذلي (العينية) : ديوان الهذليين : ٢/١

(٣٣) ينظر : الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته : ٣٣٥

(٣٤) م . ن : ٣٣٥

(٣٥) ديوانه : ١٠١ ، وينظر في سلطة الدهر أيضاً : ديوانه : ١٩٥

(٣٦) ديوانه : ٢٥١

(٣٧) ديوانه : ٢٣٥

(٣٨) الأدب الجاهلي ، قضايا ، وفنون ، ونصوص : ١٤٢

(٣٩) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان : ٧٦

(٤٠) الحجاج في الشعر العربي : ٢٢٩

(٤١) م , ن : ٢٣٠

(٤٢) ديوانه : ١١٤

(٤٣) نظرية الحجاج عند شاييم بيرمان : ٨١

(٤٤) م . ن : ٨١

(٤٥) ديوانا عروة والسموأل : ٩٠ (*) ينظر : صفحة (٤) من البحث

(*) الأبلق : هو حصن السموأل بناه أبوه وقيل سليمان بأرض تيماء ، وقصدته الزبّاء فعجزت عنه وعن مارد فقالت : ((تمرّد مارد وعزّ الأبلق .)) ينظر : ديوانا عروة والسموأل : هامش رقم (٨) ص ٩٠

(٤١) الحجاج في الشعر العربي / بنيته وأساليبه : ٢٤٢

(٤٢) م . ن : ٢٨٧

(٤٣) ينظر : م . ن : ٢٩٤

(٤٤) مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني : مادة (مثل) ص٦٣٨

(٤٥) الأمثال العربية ، دراسة تاريخية تحليلية : د. عبد المجيد قطامش : ١١

(٤٦) الحجاج في الشعر العربي : ٢٩٥

(٤٧) شعر عروة : ٤٢-٤٣

(٤٨) م . ن : ٤٣

(٤٩) الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام : د. أحمد اسماعيل النعيمي : ٤٤

(٥٠) الحجاج في الشعر العربي / بنيته وأساليبه : ٣٠٤

(٥١) حماسة البحتري : ٤٠١-٤٠٢

(٥٢) الحجاج أطره ومنطلقاته : ٣٣٩

(٥٣) الحجاج في الشعر العربي / بنيته وأساليبه : ٢٥٢
(٥٤) م . ن : ٢٥٣
(٥٥) م . ن : ٢٦٠
(٥٦) م . ن : ٢٦١
(٥٧) التذكرة السعدية : ١٥٤
(٥٨) الحجاج في الشعر العربي / بنيته وأساليبه : ٢٦٢
(٥٩) ينظر المثل السائر : ابن الأثير : ٣٧٣/١
(٦٠) ديوانا عروة والسموأل : ٩٢
(*) ينظر : ص٤ من البحث
(٦١) ينظر : الحجاج في الشعر العربي / بنيته وأساليبه : ٢٥٣
(٦٢) م . ن : ٢٥٥
(٦٣) المعمّرون والوصايا ، السجستاني : ٣٣
(٦٤) الحجاج في الشعر العربي/بنيته وأساليبه : ٢٦٦

أولاً: المصادر والمراجع :

- الأدب الجاهلي ، قضايا ، وفنون ، ونصوص ، د. حسني عبد الجليل يوسف ، ط٢ ، مؤسّسة المختار ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .
- الأسطورة في الشعر العربي قبل الاسلام ، د. أحمد اسماعيل النعيمي ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ٢٠٠٥م
- أشعار العامريين الجاهليين ، جمع وتوثيق وتقديم ، د. عبد الكريم إبراهيم يعقوب ، ط١ ، دار الحوار ، سوريا ، ١٩٨٢م .
- الأمثال العربية /دراسة تاريخية تحليلية ، د. عبد المجيد قطامش ، ط١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٨م .
- أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم ، إشراف حمادي صمّود ، كلية الآداب ، تونس .
- التذكرة السعدية في الأشعار العربية ، تأليف ، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي ، تحقيق ، عبد الله الجبوري ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٧٢م .
- الحجاج في الشعر العربي / بنيته وأساليبه ، د. سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، ط٢ ، الأردن ، ٢٠١١م .
- حماسة البحتري ، تحقيق ، محمد إبراهيم حور ، أحمد محمد عبيد ، ط١ ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، أبو ظبي ، ٢٠٠٧م .
- ديوان الأسود بن يعفر ، صنعه ، د. نوري حمودي القيسي ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ١٩٦٨م .
- ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق ، د. م . محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميزت ، مصر .
- ديوان دريد بن الصمّة ، تحقيق ، د. عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، القاهرة .
- ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره ، صنعة ، يحيى بن مدرك الطائي ، رواية ، هشام بن محمد الكلبي ، دراسة وتحقيق ، د. عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، القاهرة .
- ديوان عبيد بن الأبرص ، دار صادر ، بيروت .
- ديوان عنترة ، دراسة وتحقيق ، محمد سعيد مولوي ، المكتب الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- ديوانا عروة والسموأل ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٢م .
- ديوان الهذليين ، ط٤ ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠١٢م .

- شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، دراسة وتحقيق ، سعود محمود عبد الجابر ، ط١ ، مؤسّسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤م .
- شعر عروة بن الورد العبسي ، صنعة ، أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكّيت ، تحقيق ، د. محمد فؤاد نعناع ، ط١ ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير الجزري ، تحقيق ، الشيخ كامل محمد محمد عويضة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م .
- المعمّرون والوصايا ، أبو محمد سهل بن حاتم السجستاني ، تحقيق ، عبد المنعم عامر ، مطبوعات الحلبي وشركاؤه ، القاهرة ، ١٩٦١م .
- مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، الراغب الأصفهاني ، ط١ ، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠١٠م .
- المفضّليات ، المفضّل الضّبي ، تحقيق وشرح ، أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون ، ط١٢ ، دار المعارف ، مصر ، ٢٠٠٠م .
- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان ، د. الحسين بنو هاشم ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتّحدة ، بيروت ، ٢٠١٤م .

ثانياً : البحوث والدراسات :

- الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري) : حبيب أعراب ، عالم الفكر ، العدد/١/مج/٣٠/يوليو-سبتمبر/ ٢٠٠١
- حوار العاذلة في الشعر القديم : خالد ناجي السامرائي ، بحث منشور في مجلة كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، مج/٢٧/العدد/٣سبتمبر-أيلول ، ٢٠١٦
- ظاهرة العذل في الشعر الجاهلي (دراسة تحليلية) : د. رعد أحمد الزبيدي ، بحث منشور في مجلة كلية التربية الأساسية ، الجامعة المستنصرية ، العدد/٧٥، ٢٠١٢
- ظاهرة العذل في شعر حاتم : علي أبو زيد ، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ، مج/١٨، ع١، ٢٠٠٢
- العاذلة في شعر الجاهلية وصدر الاسلام(دراسة في التشكيل الفنّي) : د. محمد فؤاد نعناع ، اتّحاد الكتاب العرب ، سوريا ، مج/٢٥، ٤/٩٩، تشرين الأول ، ٢٠٠٥
- العاذلة في الشعر العربي قبل الاسلام (دراسة في البنية الموضوعية والفنية) : د. طاهر عبد الحسين ، د. مولود محمد زايد ، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية ، مج/٨،العدد/١٥،كانون الأول ، ٢٠٠٩
- العاذلة (قراءة في شعر الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الأموي : مريم حسين الحارثي ، بحث منشور في مجلة البحث العلمي في الآداب ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة عين شمس ، ج٣/العدد/٢٠ ، ٢٠٠٩

ثالثاً : الرسائل الجامعية :

- عذل الشاعر في الشعر العربي القديم حتى نهاية العصر الأموي : أسماء عبد الله الزيد ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، السعودية ، ٢٠٠٤

First: Sources and references:

- Pre-Islamic literature, issues, arts, and texts, d. Hosni Abdel-Jalil Youssef, 2nd Edition, Al-Mukhtar Foundation, Cairo, 2003 AD.

- Myth in Arabic poetry before Islam, d. Ahmed Ismail Al-Nuaimi, 1st floor, House of Cultural Affairs, Baghdad, 2005 AD.

- Poems of the Pre-Islamic Amiri, collected, documented and presented, d. Abdul Karim Ibrahim Yaqoub, 1st Edition, Dar Al-Hiwar, Syria, 1982.
- Arabic proverbs / an analytical historical study, d. Abdul Majeed Qatamesh, 1st Edition, Dar Al-Fikr, Damascus, 1988 AD.
- The most important theories of Hajjaj in Western traditions from Aristotle to today, supervised by Hammadi Samoud, Faculty of Arts, Tunis.
- The Saadi Ticket in Arabic Poetry, authored by Muhammad bin Abdul Rahman bin Abdul Majeed Al-Obaidi, investigation, Abdullah Al-Jubouri, Al-Numan Press, Najaf, 1972 AD.
- Al-Hajjaj in Arabic Poetry / Its Structure and Styles, d. Samia Al-Deridi, The Modern World of Books, 2nd Edition, Jordan, 2011.
- The enthusiasm of al-Buhtari, investigation, Muhammad Ibrahim Hour, Ahmed Muhammad Obaid, 1st edition, Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage, Abu Dhabi, 2007 AD.
- Diwan Al-Aswad Bin Yafar, its manufacture, d. Nouri Hamoudi Al-Qaisi, Ministry of Culture and Information, Baghdad, 1968 AD.
- Diwan Al-Asha Al-Kabeer, an explanation and commentary, d. M . Muhammad Hussein, Library of Arts in Jamamizt, Egypt.
- Diwan Duraid Bin Al-Samma, investigation, d. Omar Abdel-Rasoul, House of Knowledge, Cairo.
- Diwan of Hatem bin Abdullah Al-Taei's poetry and his news, workmanship, Yahya bin Madrak Al-Taei, a novel, Hisham bin Muhammad Al-Kalbi, study and investigation, d. Adel Suleiman Gamal, Al-Madani Press, Cairo.
- .Obaid bin Al-Abras Diwan, Dar Sader, Beirut
- Antarah Diwan, Study and Investigation, Muhammad Saeed Mawlawi, The Islamic Office, Cairo, 1964 AD.
Diwana Urwa and Samuel, Beirut House for Printing and Publishing, Beirut, 1982
Al-Hathlien Diwan, 4th edition, House of National Books and Documents, Cairo, 2012.
- The Poetry of Al-Zabarkan Bin Badr and Amr Bin Al-Ahthem, Study and Investigation, Saud Mahmoud Abdel-Jaber, 1st Edition, Al-Resala Foundation, Beirut, 1984 AD.
- Poetry of Urwa bin Al-Ward Al-Absi, work of art, by Abi Youssef Yaqoub bin Ishaq Al-Sikket, investigation, d. Muhammad Fouad Nana`, 1st Edition, Al-Khanji Press, Cairo, 1995.
- The Walking Parable in the Literature of the Writer and Poet, Ibn Al-Atheer Al-Jazari, Investigation, Sheikh Kamel Muhammad Muhammad Owaidah, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1998 AD.
- Al-Mutamaroon wa Al-Wasiya, Abu Muhammad Sahel bin Hatem Al-Sijistani, investigative by Abdel Moneim Amer, Al-Halabi and Partners Publications, Cairo, 1961 AD.
- Vocabulary of the Words of the Noble Qur'an, Al-Ragheb Al-Asfahani, 1st Edition, Al-Ameera for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 2010.
- Al-Mufaddalat, Al-Mufaddal Al-Dhabi, investigation and explanation, Ahmed Muhammad Shaker, Abd al-Salam Muhammad Harun, 12th edition, Dar al-Maaref, Egypt, 2000 AD.
- The theory of pilgrims according to Chaim Perelman, d. Al-Hussein Banu Hashem, 1st Edition, Dar Al-Kitab Al-Jadeed Al-Mutahida, Beirut, 2014.

:Second: Research and Studies

- Al-Hajjaj and Argumentative Reasoning (Elements of Theoretical Investigation): Habib Arab, World of /Thought, Issue 1/Mg/30/July-September.

- Al-Athelh Dialogue in Old Poetry: Khaled Naji Al-Samarrai, research published in the Journal of the College of Education for Girls, University of Baghdad, Volume 27/ Issue 3 September-September, 2016.

- The phenomenon of shame in pre-Islamic poetry (analytical study): Dr. Raad Ahmed Al-Zubaidi, research published in the Journal of the College of Basic Education, Al-Mustansiriya University, Issue/75, 2012.

- The phenomenon of shame in Hatem's poetry: Ali Abu Zaid, research published in the Damascus University Journal of Arts and Humanities, Vol. 18, Vol. 1, 2002.

- Al-Athelh in Pre-Islamic Poetry and Early Islam (A Study in Artistic Formation): Dr. Muhammad Fouad Nana`, The Arab Writers Union, Syria, Vol. 25, 4/99, October, 2005.

- Al-Athila in Arabic poetry before Islam (a study in the objective and artistic structure): Dr. Taher Abdel Hussein, d. Mouloud Mohamed Zayed, Maysan Journal for Academic Studies, Vol. 8, Issue/15, December, 2009.

- Al-Athila (reading in the poetry of tramps from the pre-Islamic era until the Umayyad era: Maryam Hussein Al-Harthy, research published in the Journal of Scientific Research in Arts, Faculty of Arts and Sciences, Ain Shams University, vol.3/issue/20, 2009.

Third: Undergraduate Theses:

- The Poet's Humiliation in Ancient Arabic Poetry Until the End of the Umayyad Era: Asmaa Abdullah Al-Zayd, Master's Thesis, Umm Al-Qura University, Saudi Arabia, 2004.